هب الاستعمار والجشع سيقضيان على الحضارة

مؤتمر الكتاب فى باريس

لحفظ الثقافة

« للماركسية حلقة من سلسلة الثورات التى قام بها البشر »
(كهينو)

بقلم ماجد شيخ الأرض

احتشد نيف ومائة كاتب أموا باريس من جميع أقطار المعمورة فى قاعة (قصر التواليه) وجلس وراءهم حشد عظيم من النظارة أتوا يشاركون الكتاب عواطفهم نحو المدنية التى يبحث عن درء الخطر الذى يتهددها ، ويستمعون إلى أقوال كبار الكتاب وآرائهم فى المحافظة على مخلفات الثقافة التى ينعم الانسان بثمارها اليانعة ويحس بنشوتها إذا غمرت فضيلة العلم فؤاده ، وتفتحت أمام عينيه بعض أسرار هذا الكون العجيب المغلقة

هبت عاصفة من التصفيق الشديد ، وعلت أصوات الحضور بالهتافات لسير الثقافة مرفوعة الجبين بالرغم من معارضة الرجعيين عند ما انتهى المدره جيد من خطابه الذى افتتح به المؤتمر وأتى على ذكر غايته وبيان أبحاثه ، وكأن الجمهور أحس بالواجب المقدس الذى حدا بفنان مثل جيد إلى الظهور من عزلته التى اعتادها طيلة خمسة وستين عاماً مسافراً بجوب البلدان والأقطار ، أو منزويا فى بيته يدون آراءه وأفكاره فى كتب لا يطبع منها إلا عدداً محدوداً ، كأن الجمهور شعر بالخطر الداهم الذى يحتم على كل فرد له ميزة من العقل والاحساس أن ينتبه فيصمد فى جلة الصامدين . لم يكتف الجمهور بالهتاف ، وما كاد جيد ينتهى من خطابه حتى تقدم إليه رهط من الشباب المثقف بلغ بهم الحماس مبلغه يريدون رفعه على الأيدى لولا أن حال دون بغيتهم الاعتذار وتطبيق نظام المؤتمر ، ثم لم تلبث عاطفة الحماس أن هبت من جديد لكن فى هذه المرة كان يعلوها حزن عميق ارتسم على الوجوه عند ما قام إلى المنبر عضو المؤتمر الكاتب (اراغون) يؤبن بعبارات رقيقة الكاتب الثورى (رنيه كريفيل) الذى قضى فى منتصف الطريق التى يعمل فيها للحرية وإحقاق الحق ، وقد دمعت عيون بعض الفتيات إذ أتى الخطيب على فقرات مؤثرة للكاتب الراحل

كان انعقاد المؤتمر فى مساء اليوم الحادى والعشرين من شهر يونيو الفائت ، ودامت الجلسات تترى بعضها فى النهار وبعضها فى المساء حتى الخامس والعشرين ، وقد قسمت الابحاث على عشر جلسات تناوب بعض الأعضاء رياستها ، وتعين لكل جلسة مقررين منهم . أما الابحاث التى تنوقش فيها وجرى إقرار ما يجب عمله بشأنها فهى :

تراث الثقافة . موقف الكاتب فى المجتمع الانسانى . الشخصية . الانسانية . الشعب والثقافة . الابداع عند الكاتب وقيمة الفكر . تنظيم مقررات المؤتمر . الدفاع عن الثقافة

ولمعرفة أهمية هذا المؤتمر يكفينا أن نذكر جيد ومالرو وكوتوريه واراغون ونيزان وكهينو وبندا من الفرنسويين ، وتولر وهنريخ مان من الألمان ، وفرانك من الأمريكان ، وإهرنبورغ وكولتسوف وتيخانوف والشاعر باسترنيك من السوفيت ، والسيدة كارن ميكائيليس الدانماركية ، والسيدة واديا ولعل اسمها وديمة الهندية وهكسلى وفورستر من الانكليز

بدت الجلسة الأولى جدية أكثر من أخواتها لأن بعض المؤتمرين لم يكونوا بعد قد تعارفوا وإن سبق تعارفهم روحياً منذ زمن طويل ، أو لأن الموضوع الذى طرحه المسيو بندا فى هذه الجلسة كان دقيقاً وكان خطيراً احتدم حوله النقاش مع أن أكثر هذه الخطب كانت مهيأة من قبل ليتسنى لهم ترجمتها ، ولوحظ أن الخطب التى تطرق أصحابها فيها إلى السياسة هى الخطب التى تحمس لها الجمهور وأظهر إعجابه بها إلى حد كاد يخرجه عن المألوف فى مثل هذه الاجتماعات ، حتى بتنا نقول إن فى كل يوم مظاهرة ، ثارة ضد الرأسمالية ، وثارة للحرية المهددة بالفاشستية ، وطوراً للطبقات العاملة التى لا تستفيد من الوضع الحاضر غير دفع الغرم . بل كيف لا يتحمس الجمهور وهو يرى الكتاب وقد وفدوا من أقصى الجهات وتحملوا أعباء السفر على اختلاف نزعاتهم وتباين آرائهم ليضعوا لهم نظاماً يحفظون به

تراث الثقافة التي خلقته لنا حضارة الانسان وليدة دمه المهراق وعراكه المستمر

قال جوليان بندا ماخلاصته : « إن نظرة أمم أوربا للآداب والفنون تختلف اختلافا بيناً مع النظرة الشيوعية من حيث علاقة الحياة الفكرية بالحياة الاقتصادية

فان الأولى تعتقد باستقلال وسمو الحياة الفكرية عن الحياة الاقتصادية ، أما الثانية فانها تعتقد بتضامن الحياتين . فالاختلاف يبدو لنا أساسياً مما يجعل التسوية بينهما مستحيلة لابد لهـــا من حرب

ثم هناك مسألة أخرى اختلف فيها الناس كثيراً : هل وجهة النظر الشيوعية المذكورة شيء فجائي من شأنه أن يقضي على وجهة النظر السائدة في الغرب ، ويقطع عليها الطريق ، أو أنها نتيجة سير وجهة النظر الثانية وتطورها ؟

فبعضهم يقول بأنها وليدة التطور والاتساع العام للمدارك عند الأمم الغربية ، يشبهونها بمذهب (الرومانتيسم) الذي كان وليد الاتساع الخاص للمدارك الأدبية

لكن الأمر على غير ما يتصورون ، فان الرومانتيسم برغم ما أدخله من العناصر الجديدة في الأدب لم يكف أصحابه عن الاعتقاد باستقلال الرجل الموهوب وبعده عن المؤثرات والأوضاع الاقتصادية

فبين وجهتي النظر الغربيـة والشيوعية إذاً تباين ليس في المرتبة أو المسافة ، بل في الروح والتكوين »

لم يكد ينتهي المسيو بندا من خطابه حتى قفز إلى المنبر المحاميان الفرنسيان المسيو كهينو والمسيو نيزان ، وإليك خلاصة ما قاله الأول :

« إن الأمر أهون بكثير مما يتوهمه المسيو بندا ، فحسب رأيه إذا انتقل واحدا من هذه البلاد إلى بلاد الاتحاد السوفيتي فلا بد أن تستقيم له غير هذه الروح وغير هذا الدماغ للتفكير

لا حاجة عندي لكل هذا التغيير وإذا لم يكن بد من شيء فهو اتباع العقل في مجرى تدرجه الطبيعي

وليست الثورة البلشفية الأخيرة عن بواعث دينية أو إقليمية محلية ، بل هي حلقة من سلسلة الثورات الانسانية التي ابتدأت منذ أن دب الانسان على الأرض

ولست أرى في كارل ماركس غير مفكر من هؤلاء المفكرين الذين يظهر أمثالهم كل يوم في الغرب ، وليس هناك من شيء في رأيي يدفع بنا إلى مقاومة الماركسية ونبذها

ومن العبث والسذاجة أن نقابل هذا الخط الطويل من الآراء المثالية بخط مثله من الآراء الاقتصادية التي لا تقل في قدمها وفي تدرج حركتها عن الآراء الأولى

أما إنجاح الماركسية ، فمتوقف على الفئة التي تهتدي قلوبهم إليها وعلى مقدار إخلاصهم وتضامنهم ، ولا أظن أن هنالك فريقاً من البشر يلحقه خيرها وفريقاً آخر يلحقه شرها ؟ ما دام الناس في هذا العالم متشابهين من أكثر الوجوه ، وذلك ما يقوله لنا إحساسنا الداخلي في كل ساعة : إننا متشابهون . فان مصير الناس كلهم واحد ، كما يقول هوجو ، ومقدراتهم متشابهة سواء أكان الانسان عالماً أم عاملاً . أليست الحياة والموت محتمين ! ومشاكل العيشة العامة والخاصة تنتابهم بدون استثناء ، وكل ما عمله الذين سبقونا وما نعمله لكشف خبايا هـذه الأسرار المحيطة بنا ، ما زال ويا للأسف ابتدائياً ، وهـذا ما يشجع فينا الشعور بالتشابه ، والشعور بالتشابه يجعل الاحساسات الشائعة بيننا واحدة ، وكلاهما يدفع بنا إلى إنشاء الجمعية المشتركة في النفع والضرر ، بل نحن نعمل على إنشائها بدافع طبيعي فينـا ونريدها من صميم أفئدتنا »

وإليك خلاصة ما قاله المسيو نيزان :

« لا أستطيع الكلام بدون الاعتماد على التاريخ لأن ما جاء به الفيلسوف بندا يتضمن شيئاً كثيراً منه

لقد صور لنا المسيو بندا العالم الغربي في صورة متناسبة متناسقة تجمع شتى الأقوام وشتى الطبقات ، وأكثر ظني أن هذه الصورة لا تتفق مع صحائف التاريخ ، ومن المستحيل أن تكون لهذا العالم صورة جامعة متناسقة فيها مختلف العناصر البشرية الغربية مادامت مراجعها وينابيع حياتها مستقاة من مدنية الاغريق والنصرانية ثم النهضة الأوربية (الرينسانس) وعهد الاصلاح (الريفورم)

والثورات البورجوازية المختلفة . فأستطرد وأؤكد أن المدنية الاغريقية نفسها لم تكن فى أيامها السوالف عمل جميع الاغريق

ينظر المسيو بندا إلى الغرب نظرة أفلاطونية ، نظرة إيجابية ، لا تتطلع إلا إلى الآثار الثمينة وإلى الأفكار من حيث هى أفكار رفيعة ، نظرة محدودة لا تعبأ بما تحت هذه الآثار من دوافع واحتمالات غامضة ، ولا تهتم بالحوادث البارزة التى سهلت تلك النتائج

صحيح أن هذه النظرة سادت برهة عند اليونان القدماء ، ثم أصبحت فيما بعد قوام التفكير النظرى عند الأمم الأوربية البورجوازية

لكن مذهب أفلاطون ليس كل ما عند الأغريق من مذاهب للتفكير

أتى المسيو كهيتو فيمن ذكرهم على اسم ابيقور الذى كان يوجه كلامه إلى العبيد الأرقاء ، وهو الرجل الذى ما كان يتوخى تطهير جمهرة مختارة من البشر ، ولا كان يستنسب جلساته بين طائفة متميزة منهم ، واليكم الآن مجمل ردى على المسيو بندا :

إن هذه الطائفة المثقفة التى شاء أن يسميها بالعالم الغربى تقبل كل انتقاد يمكن أن يوجه اليها ، أو إلى الأوضاع التى تعيش فيها ، وترحب بكل تحوير ممكن لهذه الأوضاع يكون فى جانب الطبقات التى تحيا وتفكر ، وتجوع وتموت . ونقبل فى آن واحد أن نؤمن ونشك فى كفاءة الانسان وقدرته ، كما قبل ذلك كارل ماركس فى كلامه عن الانسان (الذى اكتفى حاجاته) ونحن قبل كل شىء نرفض المعتقدات الدينية ، والصفات الالهية رفضاً باتاً ونعتبرها — كما اعتبرها ابيقور وكتاب فرنسا فى القرن الثامن عشر — أشياء تتمثل فيها مخاوف الانسان وأثر اضطهاده

أما موقفنا من وجهة النظر الغربية فهو ليس قطعاً لها وانفصالاً عنها ، بل هو موقف النور الهادى الذى يقبل الحالين معاً فيتسع إلى أقصى حد ويضيق إلى أقصى حد

ونحطم بالحجة الدامغة هذه البيولوجيا الانسانية التى تريد منا أن نعبد ونمجد انساناً غامضاً نجهل وجوده ، وتحملنا على أن ننسى أو نتناسى أننا للآن لم نكن متساوين فى الآلام ، وفى الانتصارات ، وحتى فى الموت »

يتبين لنا من خلال الخطب الثلاث التى تخيرنا تلخيصها فى هذا المقال ، المنطق الذى جرى عليه الخطباء فى بقائهم ، فلا سبيل إلى الحشو والتمويق ، وكانت الأبحاث على بساطة انشائها دقيقة إلى حد كبير ، يقرأها القارئ الفطن بدون عناء ، فتتجلى أمامه المشاكل الكبرى التى طالما دوخه التفكير فيها محاولة لا تحتاج لغير التنفيذ ، وكأنما العالم مريض أصيب بداء عضال عالجه هؤلاء الكتاب فأحسنوا التشخيص وأحسنوا الدواء

ولعل أكثر جلسات المؤتمر حماسة هى الجلسة التى بحث فيها الكتاب موقفهم من المجتمع ، فكانت مظاهرة علمية قامت ضد الظلم والجور والاضطهاد ، وكيف لا يتظاهر الكتاب للحرية المغتصبة ، والحق المضاع ، وهم رسل الحرية ورواد الحقيقة ، بل كيف لا يثورون وبينهم قسم كبير طردوا من بلادهم بعد أن أحرقت كتبهم وسيموا أنواع العذاب والتنكيل ، لكن هذا الحماس ما لبث دقائق حتى عاد الكتاب يبينون آراءهم فى جو مشبع بالهدوء والسكينة

شكت كارن ميكائيليس مندوبة الدنمارك من أن الكتاب لا يأبهون كثيراً إلى المهمة التى خلقوا لها ، ولا يقدرون الدور الذى يجب أن يلعبوه على مسرح الحياة حق قدره فيؤدوه خير أداء ، إن الكتاب بحكم وظيفتهم أدلاء ، ومن واجب الدليل أن يكون فى الطليعة ، لكنهم يخشون العزلة ، وتراهم يفتشون عمن يحل محلهم ، ثم يلتجئون إلى حلقة منزوية من أصحابهم وزملائهم ، يصوبون جامات الغضب على القادة المضللين ، لكن همسهم هذا ويا للأسف لا تسمعه غير آذانهم . . . .

وشكا جيد من قلة اخلاص الكتاب فيما يكتبون ... وشكا مالرو من تدجيلهم لنيل المال والجاه . . . .

والخلاصة قد أوضح الكتاب أن المجتمع البورجوازى لا يمكن الكاتب من أن يخلص فيه لفنه وأدبه ، وقد شذ بعض القصصيين الانكليز ، اذ أطروا الحرية التى يمنحهم إياها النظام الديموقراطى القائم فى بلادهم ، لكن وجد من بينهم من تصدى لهذه الفكرة ، وأبان لهم ان هذه الديموقراطية البورجوازية التى يتبجحون بها لا تشمل غير طبقتها وهى مع ذلك صائرة الى

الزوال يتآمر عليها أبناؤها البورجوازيون

نشطت حركة الحاضرين فى إحدى الجلسات نشاطاً زائداً واشرأبت الأعناق وحملقت العيون وأخذوا يتهامسون بكثير من الدهشة : « مندوبو السوفييت » كأنما هؤلاء هبطوا عليهم من جرم سماوى لم يأتوهم من بلاد تدعى الاتحاد السوفييتى فوق هذه البسيطة ، يريدون استطلاع ما ظهر من هيئتهم وما استتر . ثم ساد سكون رهيب استعداداً لسماع الرد المستمد من التجربة الصحيحة على ما جاء فى خطاب المسيو بندا ، غير أن مندوبى السوفييت خيبوا هذا الظن واكتفوا برد المسيو كهينو والمسيو نيزان ، وأتوا على وصف بعض مناحى الأدب السوفييتى الجديد

وقال إهرنبورغ صاحب كتاب (ثانى أيام الخليقة) ما خلاصته :

« اذا كان الكاتب فى المجتمع البورجوازى يكرم ويمجد باعتبار انه قام بخدمة وطنية تعادل الخدمات التى يقوم بها أمثاله فى البلاد الأخرى ، ويقرأ كتبه من أراد أن تسمو مداركه أو أن يجد لذة يملأ بها أوقات فراغه — والقراء فى هذا المجتمع من توفرت أسباب حياتهم قليلون — واذا كان القراء لا يقرأون الأدب بقصد أن يستعينوا بما يقرأونه فى حياتهم الخاصة والعامة وأن يجدوا فيها هدياً لقلوبهم وسمواً لنفوسهم وما يضمرون ، فلا يكون لما يشاهدونه فى ليلتهم من عواطف نبيلة على أحد المسارح أو لما يقرأونه فى إحدى القصص ، من تأثير فيما يعملونه فى نهارهم . وكثيراً ما تخالف أعمالهم ما اختلجت فى الليل قلوبهم له . اذا كانت هذه قيمة الأدباء فى المجتمع الأوروبى فانى أقول بكل فخر :

اننا توصلنا الى أن يكرم الكاتب والشاعر فى الاتحاد السوفييتى على أنهما يؤديان عملاً مثل سائر الأعمال الحيوية التى لا يستغنى عنها بحال من الأحوال . فقراءة الأدب للمزارع والعامل ولأى شخص آخر مثل قمحه ولبنه وثوبه ومأواه . يقرأه فيلتذ ، لكنه لا يقتصر على هذه اللذة ، فانه يفتح قلبه له فتهديه هذه العواطف النبيلة التى للأدب فى حياته وفى عمله اليومى

هذا هو تأثير الأدب السوفييتى ، مع أنه ما يزال طفلاً لا يحسن الكلام بدون تمتمة »

كانت خطب مندوبى السوفييت على هذا النمط : استعراض للموضوع فى المجتمع البورجوازى ، ومقارنة ما استجد فى بلادهم بشأنه مع بيان أوجه الانتقاد ، وما حدا إلى نبذ الأسلوب القديم

* * *

لا عجب أن نرى الكتاب فى العالم المتمدن يهبون للدفاع عن الثقافة من عاديات الزمان ، وهم حملتها ورافعو لواء مجدها ، بل ومن حقهم قبل كل انسان آخر أن يهتموا لهذا الأمر فى مثل هذا الوقت العصيب الذى ينذر العالم بالشر وسوء المصير ، ألم نر المدنيات القديمة التى لو بقيت لكانت للانسان مدنية تفوق مدنيته الغربية بمراتب — كيف اندثرت وعفتها الحروب والمنازعات والوهن الذى إذا دب إلى جسم أمة قضى عليها بالتفسخ والانحلال

وليست أوروبا اليوم بأحسن مما أشرنا اليه ، فان النزاع على المستعمرات الاستعمارية ، والتفاخر بالقومية ، وتفاقم جشع الناس ، وتفشى الاثرة بينهم أوزاء تنوء تحتها الثقافة وستؤدى إلى أوخم العواقب

عابد شيخ الأزهر

فى العدد التالى سننشر ملخص مقال الأستاذ أندريه جيد

مزاد علنى

تعلن مصلحة المجارى الرئيسية إشهار مزاد علنى يوم ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٥ الساعة العاشرة صباحاً عن تأجير أطيان مساحتها ٤٣٥ فداناً كائنة بناحية أبى رواش مركز امبابه (جيزة) ، وذلك لمدة سنة واحدة من أول نوفمبر سنة ١٩٣٥ لغاية ٣١ اكتوبر سنة ١٩٣٦ وذلك صفقة واحدة أو على صفقات

ويمكن الاطلاع على شروط التأجير والكشف الموضح به مساحة وزمام ورقم كل قطعة من هذه الأطيان من ديوان مصلحة المجارى الرئيسية الكائن بشارع المكة نازلى رقم ٢ بالقاهرة بمصر أو مديرية الجيزه فى جميع أوقات العمل الرسمية